

البطانة الصالحة للخليفة عبد الملك ابن مروان، قبيصة بن ذؤيب نموذجاً

إعداد:

د. صالح بن عبد الله بن محمد البركات

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية

– قسم التاريخ

المدينة المنورة

من ٧٣٥ إلى ٧٨٦

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد اهتم الخليفة عبد الملك -رحمه الله- في عهده (٧٢-٨٦هـ) بإدارة شؤون الخلافة الإسلامية، وتابع خطوات راشدة كان بدأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الاتجاه، ثم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مطلع عهد دولة الخلافة الأموية، فأعاد تنظيم الجهاز الإداري وتطوير أساليب العمل فيه، وتوزعت المهام الإدارية في عهده على عدد من الدواوين تولت تصريف شؤون الحكم، واستعان برجال أمناء أكفأ قاموا بإدارة تلك الدواوين والإشراف على العمل فيها، منهم الإمام الفقيه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي - رحمه الله-، قرين عبد الملك في العمل والعبادة، والمثال الصادق للبطانة الصالحة التي اتخذها الخليفة عبد الملك، والتي ينبغي أن يحرص على اتخاذ مثلها الحكام والولاة.

لقد كان لقبیصة بجانب عبد الملك أثراً إيجابياً في صنع القرار السياسي للخلافة الإسلامية، وتوجيه الحكم والإدارة إلى ما فيه صلاح الأمة، وفي هذا توضيح ما كان عليه عبد الملك من تقدير العلماء ومنهم قبيصة، وبيان نوع من الجانب التطبيقي في التاريخ السياسي الإسلامي فيما يتعلق بالعلاقة بين العلماء والحكام.

لذا رأيت الحاجة إلى الكتابة في هذا الموضوع للإسهام بالكشف عن هذا الجانب المهم من تاريخ البطانة الصالحة في العصر الأموي، وما لها من أثر في التاريخ السياسي للأمة في عهد عبد الملك، خصوصاً أن المتتبع للدراسات التاريخية في العصر الأموي لا يجد التركيز على بطانة الخلفاء وأثرها في مسيرة الخلافة الأموية، وحرصت أن يكون البحث في هذا المجال، وعنوانه: (البطانة الصالحة للخليفة عبد الملك -قبيصة بن ذؤيب نموذجاً)، وجعلته في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

المبحث الأول: البطانة الصالحة:

• تعريفها في اللغة:

البطانة: بكسر الباء، مصدر من الفعل بطن يبطن، الدال على السريرة يسرها الرجل، يقال: هو ذو بطانة بفلان، أي: ذو علم بداخلة أمره^(١)، ووضعت موضع الاسم، تصدق على الواحد والاثنين والجمع مذكراً ومؤنثاً، ولذا فسرها البخاري بالدخلاء، فجعلها جمعاً^(٢)، وقد غلب استعمالها مع الحكام والأمراء.

وأصلها: داخل الثوب مما يلي البدن، خلاف الظهارة، وتسمى: الشعار، وما فوقه: الدثار^(٣) ثم أطلقت على صديق الرجل وخصيصه الذي يطّلع على شؤونه تشبيهاً ببطانة الثياب في شدة القرب من صاحبها^(٤).

وفي الحديث (الأنصار شعاري والناس دثاري) أي: أنهم بمنزلة ذلك الثوب الذي يلي الجسد، وأنهم الخاصة والبطانة، وألصق الناس به ﷺ، وبقية الناس مثل الدثار، وهو الثوب الذي فوق الشعار^(٥).

• تعريفها في الاصطلاح:

أما تعريف البطانة في الاصطلاح: فقد اختلفت عبارات العلماء في تحديد تعريف لها، ولعل ذلك راجع إلى تعدد المفردات التي تدخل في مفهومها ومنها: الدخيل، والوليجة، والحلّة، والصاغية، والزافرة، والخاصة^(٦).

(١) انظر: لسان العرب ٣/٣٠٤، وتاج العروس ٣٤/٢٦٣.

(٢) انظر: الكواكب الدراري ٢٤/٢٣٦.

(٣) الصحاح ٢/٦٥٥، ٦٩٩، وتفسير التحرير والتنوير ٤/٦٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٤/٦٢.

(٥) رواه البخاري في الصحيح من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم، رقم (٤٢٢٠).

(٦) انظر تعريفات هذه المفردات في: الصحاح ١/٣٤٨، ٥/٢٠٧٩، والفائق ٢/٣٠١، وغريب الحديث

لابن الجوزي ١/٥٨٩، والنهية لابن الأثير ٣/٣٣، ولسان العرب ٤/٣٢٦.

وكلمة البطانة تجمع معاني هذه المفردات لأن بطانة الرجل تعني: دَخَلْتُهُ، وخاصته الذين يصغون إليه^(١).

فيطلعون على خصوصياته وهو يميل إليهم فيفضي إليهم بأسراره ويستشيرهم في شؤونه.

وعرّف ابن حجر (الدخيل) بالذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته، ويفضي إليه بسرّه، ويصدقه فيما يخبر به مما يخفي عليه من أمر رعيته، ويعمل بمقتضاه^(٢)، وقال قريباً من هذا ابن الهائم في تفسيره: بطانة الرجل ودخلاؤه: أهل سرّه ممن يسكن إليه ويثق بمودّته^(٣).

وعرّفها ابن عطية بقوله: أخلاء يأمنون بهم في الباطن من أمورهم ويفاوضونهم في الآراء، ويستتيمون^(٤) إليهم^(٥).

ولا يبعد كثيراً عن هذا التعريف، تعريفات الزجاج^(٦)، والقرطبي^(٧)، والزمخشري^(٨)، وابن الأثير^(٩)، وابن كثير^(١٠)، والبقاعي^(١١)، والكرماني^(١٢)، والزبيدي^(١٣).

والحاصل أن البطانة هي: الخاصة والصفوة لولي الأمر من الأمة التي آمنت بمودتها وصدق محبتها وهيبتها ووفائها، فاطمئن إليها وتأثر بها، وأكسبها ثقته ومودته، فأطلعها على سرّه واستشارها في أمره.

● الألفاظ ذات الصلة:

(١) غريب الحديث للخطابي ٢/٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) فتح الباري ١٣/١٩٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ص ١٢٧، وتفسير غريب القرآن للصنعاني ص ١١٢.

(٤) يستتيمون: يسكنون إليهم ويطمنون. يقال: استنم إليه: أي: سكن إليه واطمأن. (الصحاح ٥/٢٠٤٧).

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٨٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٦١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٧٢.

(٨) الكشاف ١/٦١٥.

(٩) منال الطالب ص ٣٨٩.

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٩٨.

(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/٣٧، ٣٨.

(١٢) الكواكب الدراري ٢٤/٢٣٦.

(١٣) تاج العروس ٩/١٤١.

أ- أهل الشورى: هم أهل الرأي الذين يقدمون المشورة لمن يستشيرهم، وقد يكونون من بطانة الإمام^(١)، لذلك عقد البخاري ترجمة عن وصف جلساء الحاكم وبطانته، وأي أنواع البطانة والمستشارين على الحاكم أن يستشيرهم سواء في مجالس الحكم أو غيره بقوله: (باب بطانة الإمام وأهل مشورته)، فعطف (أهل المشورة) على (البطانة)، من عطف الخاص على العام^(٢).

وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يشاور أصحابه فقال سبحانه: ﴿فَاعْتَفِ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣)، وما كان أمره تعالى نبيه بالمشاركة بحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، وتقتدي به أمته من بعده^(٤)، ولذا كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها^(٥).

ب- كتمان السرّ: لون من ألوان الأمانة لقوله ﷺ: (إذا حدّث رجل بالحديث ثمّ النفث، فهي أمانة)^(٦)، والأمانة من صفات البطانة الصالحة، وحين يثق الحاكم في بطانته وأنها حافظة لأسراره تتوثق عُرى المحبة بينهما، ويمهّد ذلك للحاكم استشارة البطانة فيما لا يجب أن يطلع عليه الناس.

وكتمان السرّ محمود من جميع الناس وخاصة ممن يصحب السلطان من الوزراء والجلساء والأتباع. ومن صفات أمين السرّ: أن يكون ذا عقل ودين ونصح ومودّة، فإن هذه الصفات تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة^(٧). وإفشاء السرّ من الخيانة، قال الحسن البصري رحمه الله: (إن من الخيانة أن تُحدّث بسرّ أخيك)^(٨).

ج- كاتب الرسائل: يكاد أن لا يكون عند الحاكم من هو أخص منه ولا ألزم لمجالسته^(٩)، ويعتبر مستقراً لأسراره، ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته^(١٠)، لذلك اهتم

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ١٠٣/٨.

(٢) فتح الباري ١٣/١٩٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٥، من قولي الحسن البصري والضحاك.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح (فتح الباري ١٣/٣٣٩).

(٦) رواه أبو داود في سننه، رقم (٤٨٦٨)، واللفظ له، والترمذي، رقم (١٩٥٩)، وقال حديث حسن.

(٧) انظر: سراج الملوك ١/٢٨٣، و١٣/٢، وبدائع السلك ١/٤٢٤.

(٨) الصمت وآداب اللسان، ص ٢١٤.

خلفاء بني أمية بكتاب الرسائل فاتخذوا له ديواناً هو (ديوان الرسائل)، وكانوا يختارون له من يتقون بأمانته وإخلاصه وشرفه^(٣).

والصلة بين كاتب الرسائل والبطانة، أن للكاتب على الحاكم - كما ذكر الطرطوشي - ثلاثة أشياء: أن يرفع عنه الحجاب، ولا يُتهم بوشاية عليه، وأن يفشي سرّه إليه^(٤).

وبذلك يكون الكاتب ملازماً للحاكم، قد نال ثقته فأطلعه على سره واستشاره في أمره، ولهذا فاخر الحريري بين كاتبي الإنشاء والأموال بقوله: (والمنشي - يعني: كاتب الرسائل - جهينة والأخبار، وحقية الأسرار، ونجّي العظماء، وكبير الندماء، وقلمه لسان الدولة، وفارس الجولة، ولقمان الحكمة، وترجمان المهمة، وهو البشير والندير والشفيق والسفير)^(٥).

● صفات البطانة الصالحة:

تعرف البطانة الصالحة من صفاتها التي تميزها عن بطانة السوء، ومن أبرزها هذه الصفات:

- ١ - التقوى والصلاح والخشية من الله تعالى، حتى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتذكر الحاكم بالخير إذا نسي، وتعينه على فعله، وتدله عليه إن استشارها، وتبذل النصيحة له سرّاً وعلانية. قال سفيان^(٦) الثوري: ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة، ومن يخشى الله تعالى^(٧).
- ٢ - الأمانة: التي بها تُنقل الصورة الحقيقية الصادقة عن الرعية بالأمها وآمالها، وعن العدو بمكائده ومطامعه، والأمين: هو الحافظ للسرّ الذي لا يُخاف غائلته^(٨). وكنتم

(١) صبح الأعشى ١٠٣/١.

(٢) سراج الملوك ٢٩٣/١، والشهب اللامعة ص ٢١٢، ٢١٣.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٥-٢٠٦، والإدارة في العصر الأموي ص ٢٠٨.

(٤) سراج الملوك ٢٩٣/١.

(٥) شرح مقامات الحريري ٥٦/٣.

(٦) سفيان بن سعيد الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، مات سنة إحدى وستين

ومائة. (تقريب التهذيب ص ٢٤٤).

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٥.

(٨) انظر: الصحاح ٢٠٧١/٥، ولسان العرب ٢١/١٣، ٢٢.

الأسرار من أوكد الأمانة^(١)، ويؤدي حفظ السر إلى توثيق صلة الحاكم ببطانته الصالحة، فيمهد ذلك له إلى استشرتها فيما لا يجب أن يطلع عليه الناس؛ لأن الأصل في المستشار الأمانة والمشورة بالرشد والرأي السديد، لقول الرسول ﷺ: (المستشار مؤتمن)^(٢).

وتكون الأمانة في الكتابة بأن تكون وفق ما يمليه مملئها، فلا يكون فيها تغيير ولا تبديل، وإذا كانت من إنشاء الكاتب فالأمانة فيها أن تكون مضامينها خالية من الكذب والخيانة.

وتكون كذلك في الرسائل بتبليغها إلى أهلها تامة غير منقوصة ولا مزيد عليها، وعلى وفق رغبة محمّلها، سواء أكانت رسالة لفظية أو كتابية أو عملية^(٣).
وصفة الأمانة في البطانة تقدم على صفة القوّة؛ لأن فيها صلاح الراعي والرعية، قال ابن تيمية: (الواجب في كل ولاية الأصلح بحبسها، فإذا تعيّن رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، فقدم أنفهما لتلك الولاية وأقلهما ضرراً فيها)^(٤).
وضدها الخيانة التي هي أسوء ما يُبطن الإنسان، لذا استعاذ الرسول ﷺ من ذلك، فقال: (وأعوذ بك من الخيانة فإنها بنست البطانة)^(٥). وتكون الخيانة من البطانة في صور كثيرة، منها: كتمان العيوب عن الحاكم، أو تزوين الباطل له في صورة الحق، أو التخطيط في الخفاء للوقيعه به، وكل ذلك غش، وهو من علامات البطانة السيئة، قال ﷺ: (... ومن استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانته)^(٦).

٣- العلم النافع المنضبط بنصوص الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم لمعانيها، فهو العلم الذي يحتاج إليه الحكام والأمراء،

(١) الكلبيات ص ١٨٦ بتصرف.

(٢) رواه الترمذي، رقم (٢٨٢٢)، وقال: حديث حسن، وأبو داود، رقم (٥١٢٨)، وابن ماجه، رقم

(٣٧٤٥)، من حديث أبي هريرة.

(٣) الأخلاق الإسلامية للميداني ١/٦٥٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٥٤.

(٥) رواه أبو داود، رقم (١٥٤٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، رقم ١٣٦٨).

(٦) رواه أحمد في المسند، رقم (٨٧٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الشيخ أحمد شاکر: رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والحاکم والشافعي والدارمي بنحوه (المسند ٨/٤١٦).

فعلیهم أن یعرفوا حقّه، ویکرموا حملته ویستبطنوا أهله^(١)، ولذا كان العلماء یوصون الحکام بصحبة العلماء وتقربیهم وجعلهم ضمن بطانتهم؛ لیکون سوادهم أكثر وتأثیرهم أقوى وأنفع للأمة؛ قال الطرطوشي -رحمه الله- فی رسالته^(٢) إلى یوسف^(٣) بن تاشفین مع الفقیه الحافظ أبو بکر^(٤) ابن العری: (... وهو واردٌ علیک بما یسرُّک، فاشدد علیه یدیک، واحفظ فیهِ فی أمثاله وصیة الله سبحانه لنبیهِ علیه السلام ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ... ﴾^(٥). ونصح الشیخ عبد الرحمن^(٦) بن حسن آل الشیخ الإمام فیصل^(٧) بن ترکی فی إحدى وصایاه بتقرب أتقی الناس إلیه حتی یقوم بهم الدین والعدل^(٨). وقال فی وصیة أخرى له: (ومن سعادة العبد أن یتخذ إخوان صدق ممن له علم ودين یدکرونه إذا نسی وبعینونه إذا ذکر...)^(٩).

إلی أن قال له: (فاحرص علی العلم وأهل العلم، واجعل بالک لهذه الآیة ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴾^(١٠)، فلا غلبة إلا بهذا السبب

(١) انظر: سراج الملوك ١/١٢٠.

(٢) انظر الرسالة فی کتاب: أبو بکر الطرطوشي العالم الزاهد للدكتور جمال الدین الشیال، ص ١٢٣.

(٣) یوسف بن تاشفین، أبو یعقوب اللمتوني البربري، أمير المسلمین فی المغرب، كان كثير العفو، مقرباً للعلماء، مات سنة خمس ومائة. (سير أعلام النبلاء ١٩/٢٥٢-٢٥٤، وشذرات الذهب ٣/٤١٢، ٤١٣).

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بکر بن العری، العلامة الحافظ القاضي، برع فی الحدیث والأدب وعلوم الدین، مات بقر فاس سنة ثلاث وأربعین وخمسمائة. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧، ٢٠٣).

(٥) سورة الأنعام، الآیة (٥٤).

(٦) هو العالم الشهير صاحب التاريخ الحافل بالجهاد والكفاح، الشیخ عبد الرحمن بن حسن بن الشیخ محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف للهجرة، وتوفي بالریاض سنة خمس وثمانین ومائین وألف. (مشاهیر علماء نجد وغيرهم ص ٧٨-٨٦).

(٧) هو الإمام فیصل بن ترکی بن عبد الله، إمام شجاع حازم، تولی الإمارة فی عهد الدولة السعودية الثانية بعد مقتل أبيه ترکی، وسار سيرة حسنة، وتوفي بالریاض سنة ١٢٨٢هـ. (الأعلام ٥/١٦٤).

(٨) الدرر السنیة ١٤/٩٥-٩٠.

(٩) الدرر السنیة ص ٩٦.

(١٠) سورة المائدة، الآیة (٥٦).

العظيم؛ لأنه من انتظمت له هذه الثلاث غلب من ناوأه وعاداه من قريب أو بعيد...^(١).

٤- العقل الراجح، والرأي السديد، والأدب الوافر^(٢).

قال الطرطوشي: وينبغي للملك أن يجالس أهل العقل والأدب وذوي الرأي والحسب، وذوي التجارب والعبر^(٣)، وقال القلعي: يجب أولاً على الملوك أن يختاروا مجالستهم من جمع بين الرأي والعقل وحوى الأدب والفضل واتصف بمكارم الأخلاق وطيب الأعراق^(٤).

وقال عبد الملك بن مروان: من قرب السّفلة وأدناهم، وباعد ذوي العقل وأقصاهم؛ استحق الخذلان^(٥).

٥- الهيبة^(٦) والوقار: للحاكم المقسط العادل الذي يقوم في الناس بأمر الله تعالى ويطبق شرعه ويقوم في الرعية بالعدل والرحمة، فإن ذلك من إجلال الله تعالى، لقول الرسول ﷺ (إن من إجلال الله، إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)^(٧) حتى ولو كان الحاكم صاحب معاصي لا تخرجه عن الإسلام حفاظاً على هيبة الخلافة ووحدة كلمة المسلمين وانتظام أمرهم وقوة صفهم؛ لأن هيبة الإسلام لا تقوم إلا بهيبة الحاكم في النفوس، وهيبة الحاكم لا تحصل إلا بتعظيمه في نفوس البطانة، ودعوة الناس إلى إجلاله والسمع والطاعة له وعدم الاستخفاف به، فإن مصالح العباد في دينهم ودنياهم لا تقوم إلا بهيبة السلطان وعظمته في نفوس الناس.

(١) الدرر السنينة ٩٦/١٤-١٠٠.

(٢) سراج الملوك ٣٠٢/١، وبدائع السلك ٢٩٩/١.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ص ١٥١.

(٥) سراج الملوك ٣٠٢/١.

(٦) الهيبة: المهابة: هي الإجلال والخافة، ويراد بها عرفاً الحالة التي تكون في قلوب الناظرين إلى الملوك غالباً.

(الكليات ص ٨٧٠، والصحاح ٢٣٩/١، ولسان العرب ٧٨٩/١).

(٧) رواه أبو داود، رقم (٤٨٤٢)، وحسنه الألباني.

قال الطروشى في وصاياه: (اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار؛ لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة، فلا تترك الهيبة وإن طال أنسك بهم)^(١).

٦- المودة الصادقة، التي تحمل البطانة على الصدع بالحق للحاكم، ولا تطوي عنه نصيحة صادقة تعود عليه في صلاح الدين ودوام الحكم، ولا توافقه فيما يستحسن من أخطاء تكسبه إثمًا وتعود عاقبتها إلى فساد في حكمه واختلال في دولته، ولا تحجب عنه المعلومات الصحيحة التي يجب أن تصل إليه، وليست المعلومات التي يريد أن يسمعها هو أو التي تعتقد البطانة بأنه يريد سماعها.

ومتى توفرت هذه الصفات في البطانة -مع الإخلاص لله تعالى في القصد، وصدق النية والرغبة في إظهار الحق- أوقع الله تعالى في قلب الحاكم قبول النصيحة والإصغاء إلى المشورة.

(١) سراج الملوك ٢/٤٨٧.

المبحث الثاني: جذور البطانة الصالحة:

إن لكل إنسان خواص يدينهم منه وينبسط إليهم، ويأنس بهم فيدخلهم في أمره، ويستأنمهم على سره، ويشاورهم في أحواله، وهؤلاء هم بطانته ووليجهته^(١).

والمسلم مأمور بمصاحبة الصالحين، وأن يصبر نفسه في الجلوس معهم، ولا

يتجاوزهم إلى غيرهم من أصحاب الجاه والثروة^(٢)، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ

فَنفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَةً، وَلَا تَعُدْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

قُرْطًا^(٣)، فكان ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا جالس أصحابه لا يقوم عنهم حتى يكونوا هم الذين يبدوون حوله بالقيام^(٤).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ

يُرِيدُونَ وَجَهَةً، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ

فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ^(٥) التي نزلت في سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وغيرهما من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يتسابقون إليه، ويدنون منه، فقال المشركون: اطرد هؤلاء لا يتجرؤون علينا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عزوجل هذه الآية^(٦).

ثم أوصى الله تعالى نبيه ﷺ باحترام الصالحين واجتناب ما يبغضهم أو يؤذيهم^(٧)،

فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا كَمَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ عَلَيَّ

(١) الصحاح ٥٢٠٧٩، ولسان العرب ٣٠٤/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨٠/٣ بتصرف.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٨٥/٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

(٦) رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم (٢٤١٣).

(٧) انظر: رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى ابن تاشفين (نشرها الدكتور جمال الدين الشيبان في كتابه: أبي بكر

الطرطوشي العالم الزاهد) ص ١٢٣، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٩٣/٨.

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

وقد امتثل ﷺ هذا الأمر أشد امتثال، فكان إذا جالس المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وأحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر مجلسه ﷺ (٢).

ولو كان ولي الأمر من المسلمين يستغني عن البطانة الصالحة التي تشد من أزره وتُنظّم بها أمور الدنيا والآخرة لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى عليه السلام الذي سأل ربه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٣) ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ (٤) ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (٥) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٦).

ولذا حصّ الشارع الحكيم الإمام وغيره من ولادة الأمور من المؤمنين اتخاذاً للبطانة الصالحة التي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتساعد في الخير وتدله عليه (٧)، لقول الرسول ﷺ: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى) (٨).

وفي معناه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بالأمر خيرًا جعل له وزير صدق: إن نسي ذكركه، وإن ذكر أعانته، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء: إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه) (٩)، أي: صادقًا في النصيح له ولرعيته قولاً وفعلاً (١٠).

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٨٨/٢.

(٣) سورة طه، الآية ٢٩-٣٤.

(٤) الترغيب والترهيب ١٧٣/٣.

(٥) رواه البخاري، رقم ٧١٩٨ (فتح الباري ١٣/١٨٩).

(٦) رواه أبو داود، رقم ٢٩٣٢، وصححه الألباني: (سنن أبي داود ص ٥٢٢).

(٧) عون المعبود ١٥١/٨.

وفي رواية النسائي: (من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً، جعل الله له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه)^(١)، أي: معيناً وملجأً ذا رشد، إن نسي الوالي أمراً يتعين عليه القيام به ذكره ذلك الوزير؛ لما يتصف به من الصلاح، وإن ذكر الوالي أمراً فيه صلاح رعيته ورعايته أعانه ذلك الوزير بمقتضى ما اتصف به من الصلاح أيضاً. وفي الحديث بيان مشروعية اتخاذ الإمام الوزير الصادق الصالح ليستعين به على مهمات الإمارة^(٢). وقد يكون الوزير الصادق من الدخلاء على الإمام في مكان خلوته، ويفضي إليه بسرّه ويصدقه في ما يخبره به مما يخفى عليه من أمر رعيته، ويعمل بمقتضاه. وبناء على هذا يمكن إطلاق البطانة على كل من يدخل على ولي الأمر من الوزراء والكتاب والمستشارين والعلماء، ممن يجمعهم به مجالس وأحاديث خاصة^(٣). فكان الصحابة رضي الله عنهم يعاونون الرسول صلى الله عليه وسلم في تسيير أمور الأمة، ومنهم من شكّل بطانته واختص بملازمته حتى أطلق عليهم اسم الوزراء^(٤) مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال عن الأنصار: (الأنصار شعاري والناس دثاري)^(٥)، أي: أنهم بمنزلة الثوب الذي يلي الجسد، وأنهم الخاصة والبطانة وألصق الناس به صلى الله عليه وسلم، وبقية الناس مثل الدثار:

(١) رواه النسائي، رقم ٤٢٠٤، من حديث عائشة، وصححه الألباني: (سنن النسائي ص ٦٤٨).

(٢) ذخيرة العقبين في شرح المجتبى ٣٢/٤٢٣، ٣٢٤.

(٣) صفحة من تراثنا: البطانة الصالحة (بحث نشر في مجلة الأمن والحياة، العدد ٢٤٣- شعبان ١٤٢٣ هـ ص ٤٠).

(٤) والوزير: من الأزر، وهو الظهر؛ لأن الخليفة يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِي

وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢١) هَذُونَ أَخِي ﴿٢٠﴾ أَشَدَّ يَدِيهِ أَزْرِي ﴿٢١﴾ طه: ٢٩-٣١، وقد سمي الوزير حَباً الملك؛ لأنه يحمل ثقله، ويعينه برأيه وتدبيره، والحياً: جلس الخليفة وخاصته (انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٨، والصحاح ٤٢/١)، ولم يكن لقب الوزير مستعملاً في عصر السيرة وصدر الإسلام وإنما استعمل في عهد الدولة العباسية عندما لقب السفاح أبا سلمة الخلال بـ (وزير آل محمد)، متأثر الأنافة (١٧٩/١).

(٥) رواه البخاري، رقم (٤٣٣٠).

وهو الثوب الذي فوق الشعار^(١)، وقال عنهم أيضاً: (الأنصار كرشى وعيبتي...) ^(٢)، أراد أنهم بطانته وموضع سيره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره ^(٣). واتخذ من أصحابه حوالي خمسين كاتباً، منهم لكتابة الوحي، وأموال الصدقات، والمدائيات والعقود ^(٤).

واستكتب عبد الله ^(٥) بن الأرقم الزهري رضي الله عنه على الرسائل، فكان يجيب عن الرسول ﷺ الملوك، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته ^(٦)، ثم كتب لأبي بكر، ثم لعمر. وكان عمر يقول: ما رأيت أحشى لله من عبد الله بن الأرقم ^(٧).

ولما استكتب زيد ^(٨) بن ثابت رضي الله عنه، أمره ﷺ أن يتعلم كتاب يهود وقال له: (إني والله ما آمن اليهود على كتابي) أي: لم يطمئن رسول الله ﷺ على أن يكون كاتبه من اليهود لئلا يلبس عليه في الكتاب، ويخون فيه، فيكتب ما لم يقله أو لم يكتب ما يقوله، فأمر زيد بن ثابت بتعلمه ^(٩). قال زيد: فتعلمته حتى حدقته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه ^(١٠).

وفي الحديث دلالة على أن كاتب سر الحاكم رتبة قديمة لها أصل في السنّة؛ لأن الكاتب على الرسائل هو مستقرّ أسرار الحاكم والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه،

(١) النهاية في غريب الحديث ٤٨٠/٢ بتصرف.

(٢) رواه البخاري، رقم (٣٨٠١).

(٣) النهاية في غريب الحديث ١٦٣/٤، وفتح الباري ١٢١/٧.

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص ٢٦٩.

(٥) عبد الله بن الأرقم، القرشي الزهري، من مسلمة الفتح، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه. (أسد الغابة

٦٨/٣، والإصابة ٣٢/٤).

(٦) تخريج الدلالات السمعية ص ١٨٤.

(٧) سير أعلام النبلاء ٤٨٣/٢.

(٨) زيد بن ثابت، الأنصاري البخاري، أحد فقهاء الصحابة، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ،

مات سنة خمس وأربعين. (معرفة القراء الكبار ٣٦/١، والإصابة ٢٢/٣).

(٩) بذل المجهود في حل أبي داود ٣٣٣/١٥.

(١٠) رواه أبو داود، رقم (٣٦٤٥)، وحسنه الألباني: (سنن أبي داود، ص ٦٥٦).

ولسانه الناطق عنه^(١)، فقد يكون بطانته تختص به، فتطلع على داخل أمره، ويتق به فيفضي إليه بحاجاته ويستشيريه في أحواله^(٢).

وفيه دليل على استحباب اتخاذ الحاكم كاتباً؛ لأن النبي ﷺ استكتب زيد بن ثابت وغيره، ولأن الحاكم تكثر أشغاله ونظره، فلا يمكن أن يتولى الكتابة بنفسه، وإن أمكنه تولي الكتابة بنفسه جاز، والاستنابة فيه أولى. ولا يجوز أن يستناب في ذلك إلا عدلاً؛ لأن الكتابة موضع أمانة، ويستحب أن يكون الكاتب فقيهاً؛ ليعرف مواقع الألفاظ التي تتعلق بها الأحكام، ويفرق بين الجائز والواجب، وينبغي أن يكون وافر العقل، ورعاً نزيهاً، لئلا يستمال بالطمع، ويكون مسلماً لأن الله نهي عباده المؤمنين من اتخاذ بطانة من غيرهم ومن هو دونهم في السير وحسن المذهب^(٣)؛ فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُم بِخَبْرٍ أَلَّا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤) أي: هم حريصون غير مقصّرين في إيصال الضرر بكم^(٥).

وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب: إن ها هنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً. قال: (قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين)^(٦).

قال ابن كثير: ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعماهم في لكتابة التي فيها استتالة على المسلمين، وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب^(٧).

ولم تكن هناك حدود فاصلة تحدد نوع الكتابة التي يتولاها الكُتّاب في عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين وإنما كان الكُتّاب يجمعون بين كتابة أعطيات الجند وأسمائهم، والكتابة لبيت المال، وكتابة المراسلات.

(١) سراج الملوك ٢٩٣/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٩٨/١، وتفسير الكشاف ٣٩٨/١، وتاج العروس ١٤١/٩، وتفسير

غريب القرآن ص ١١٢، ومنال الطالب ص ٣٨٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/٥، وانظر: المغني ٥٢/٤، ٥٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤١٣/١.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٤٣/٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٨/١.

وفي العصر الأموي بلغت الخلافة الإسلامية أقصى اتساع لها وأُتيح للأمويين الاتصال بالفرس والبيزنطيين أكثر مما أُتيح للراشدين، فالتسعت في عصرهم مرافق الخلافة، وأخذ الجهاز الإداري يتطور وينمو تبعاً للمتغيرات والمتطلبات، وقد تمثل ذلك في تطوير نظم الحكم والدواوين التي وضعت في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وفي إنشاء دواوين جديدة دعت الحاجة إليها، مثل: ديوان الرسائل والخاتم والبريد^(١).
وقام معاوية بتطوير نظام العمل في تحرير رسائل الخليفة ومراسلاته في الداخل ومكاتباته مع العمال والأقاليم، وبرز اسم ديوان الرسائل كديوان له اختصاصه يتولى المكاتبات في الدولة ولاسيما إصدار النشرات والرسائل التي تشتمل على التعليمات الصادرة للولاية وعماهم وللرعايا عامة^(٢).

وقد اختار معاوية على هذا الديوان كاتباً من أشهر كتّابه وهو عبيد^(٣) ابن أوس الغساني، وكان من أقرباء معاوية ومن عظماء قبيلته، وكان المتولي على هذا الديوان والإشراف على الولايات وعلى الرسائل من الولاية^(٤)، وكان له مكانة رفيعة عند الخليفة (يكاد أن لا يكون عند الخليفة من هو أخص منه ولا ألزم لمجالسته)^(٥)؛ لأنه كان مؤتمناً على أمور الدولة وأسرارها، وقد جرى الأميون على أن يعينوه غالباً من خاصتهم وذوي قرابتهم^(٦).

وكانت الرسائل الصادرة عن هذا الديوان تختتم بخاتم الخليفة، وقد اتخذ عبد الملك خاتماً نقش عليه عبارة: (آمنت بالله مخلصاً)^(٧).

أما أهل الشورى: فهم أهل الرأي الذين يقدمون المشورة لمن يستشيرهم، وقد يكونون من بطانة الرجل أو غيرهم من ذوي الرأي^(١)، ولذلك عقد البخاري رحمه الله في

(١) انظر: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ص ٢٧، والنظم الإسلامية نشأتها وتطورها ص ٣١٣.

(٢) الإدارة في العصر الأموي ص ٢٨٠.

(٣) ويقال: عبيد الله بن أوس الغساني، كاتب معاوية وحاجبه، ويزيد بن معاوية، ومروان ابن الحكم. (تاريخ دمشق ١٦٩/٣٨، وانظر: تاريخ خليفة ص ٢٢٨، والوزراء والكتّاب ص ٢٤، ٣١).

(٤) صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ص ٣٠.

(٥) صبح الأعشى ١/١٣٥.

(٦) النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها ص ٣٠٤.

(٧) التنبيه والإشراف ص ٣١٦، والجواهر الثمين ص ٦٤.

كتاب الأحكام (باب بطانة الإمام وأهل مشورته) أي: من يستشيريه في أموره، وعطف أهل مشورته على البطانة من عطف الخاص على العام^(٢).

ولما كانت الشورى من قواعد الشريعة ومن لوازم الحكم في الإسلام، وأن العادة جارية بأن الإنسان يطمئن إلى بطانته، فإنه يجب على ولاة المسلمين أن يتخذوا بطانة صالحة، من أهل التقوى والأمانة، وممن يخشى الله^(٣).

وحكم اتخاذ البطانة الصالحة واجب على الإمام: قال الماوردي في معرض عدّ واجبات الإمام: (استكفاء الأمانة، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمانة محفوظة)^(٤).

وقال ابن الأزرق: اتخاذ بطانة الخير، لما يراد بهم واجب في حفظ الملك أصلاً وفرعاً^(٥).

لقد أصبحت البطانة الصالحة سمة للحاكم المسلم وصفة من صفاته اللازمة، وهي مبدأ من المبادئ الإسلامية العامة التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون رعاة ورعية امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٦)، والمراد بالوليعة: بطانة السوء من المنافقين والمشركين^(٧)، وفي الآية عدم جواز اتخاذ بطانة من المشركين^(٨).

(١) نص القرآن على الشورى في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَسَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وليس في القرآن ولا في السنة قرينة تصرف الأمر عن الوجوب إلى الندب. (عصر الخلافة الراشدة ص ٨٦).

(٢) فتح الباري ١٣/١٨٩.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٠٣/٨.

(٤) الأحكام السلطانية ص ١٢-١٣.

(٥) بدائع السلك ١/٣٠.

(٦) سورة التوبة، الآية (١٦).

(٧) تفسير المراغي ١٠/٧٠.

(٨) تفسير آيات الأحكام ص ٩٧.

ولأن الرسول ﷺ الأسوة الحسنة لكل حاكم مسلم في تطبيق هذه القاعدة في الحكم، حيث اتخذ ﷺ من أصحابه بطانة خير - كما تقدم - وسار الخلفاء على هذه السنة، فكانوا يجعلون من فضلاء الصحابة بطانة لهم.

قال البخاري رحمه الله: (كان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها)^(١).

وقال ابن عباس: (كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهؤلاء كانوا أو شبان)^(٢)، وجعل معاوية ﷺ يزيد^(٣) بن شجرة، الرهاوي ﷺ في بطانته لما ظهر له خلوصه ونصحته وحسن أدبه، وزاد في عطائه ألف درهم^(٤)، وقدم عبد الله بن صفوان^(٥)؛ لأنه انصح للأمة بأخلاقه وفضائله، وكان عبد الله بعد معاوية مع ابن الزبير بمكة يقوي أمره، ولم يزل معه حتى قُتلا جميعاً^(٦).

ووصف معاوية أبا موسى الأشعري ﷺ بأنه كان أخاً وخليلاً^(٧)، وصحب عبد الله الله بن جعفر وكان ينزله في مقره وله معه أخبار عدة^(٨).

ولما استقر الأمر لعبد الملك سنة ٧٣هـ وعادت للأمة وحدته، عرف للعلماء قدرهم في الأمة، ومدى تأثيرهم في الرأي العام، وأن عليهم واجب المساهمة معه في إدارة شؤون الخلافة خاصة في الأيام العصيبة والحن بما يمليه عليهم واجبه الديني بتقديم المشورة والموعظة تارة، والمساهمة الفعلية تارة أخرى، فقد ورد عن الإمام الأوزاعي^(٩)

(١) فتح الباري ١٣/٣٣٩.

(٢) رواه البخاري، رقم (٤٦٤٢).

(٣) يزيد بن شجرة الرهاوي، استعمله معاوية على الجيوش في غزو الروم، واستشهد هو وأصحابه في البحر سنة ثمان وخمسين (الطبقات الكبرى ٤٤٦/٧، والإصابة ٣٤٣/٦).

(٤) انظر: الشهب اللامعة ص ١٧١-١٧٢.

(٥) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، من أشرف قريش وسيد أهل مكة في زمانه حلمه وسخائه وعقله، وقد على معاوية في خلافته، وكان له بدمشق دار في الزقاق المعروف بزقاق صفوان، ثم قتل مع ابن الزبير بمكة (تاريخ دمشق ٢٠٣/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤/١٥١، ١٥٠).

(٦) نسب قريش ص ١٢٤، ٣٨٩، والإصابة ٦١/٥.

(٧) أنساب الأشراف ٤٧/٥، ٥٣. (تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي).

(٨) المصدر نفسه ٢٥/٥، ٣١، ٣٣، ٣٩، ٤١.

(٩) هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، الفقيه، ثقة جليل، مات سنة سبع وخمسين ومائة. (تقريب التهذيب ص ٣٤٧).

قوله: (كان الخلفاء بالشام، فإذا كانت بلية سألوها عنها علماء أهل الشام وأهل المدينة)^(١).

ولذا حرص عبد الملك على تقديمهم إلى ملكه، وإشراكهم في المسؤولية، فاتخذ منهم المستشارين والخاصة، فكان قبيصة بن ذؤيب - رحمه الله، كما سنرى - من المقربين إليه لازمه طيلة فترة خلافته وكان بمثابة المستشار له في كثير من الأمور^(٢).
وقرب الحدث عبد الرحمن^(٣) بن عسيلة الصناجي المرادي رضي الله عنه، وكان يجلسه معه على سرير ملكه^(٤)، ولازم رجاء^(٥) بن حيوة مجموعة من الخلفاء الأمويين كان من أبرزهم عبد الملك وأبنائه: الوليد وسليمان، وعمر بن عبد العزيز، فقربوه إليهم، وأحسنوا إليه، وسادت بينهم علاقات طيبة لم يبخل فيها بالنصيحة والمشورة في الأمور التي يعرضونها عليه^(٦).

وكان روح^(٧) بن زباع الجذامي شبه الوزير للخليفة عبد الملك^(٨)، أسند إليه مهمة الكتابة، وسلّمه ديوان الرسائل، واستمر روح قريباً من الخليفة عبد الملك ما يزيد عن سبعة عشر عاماً، وكان كثيراً ما يأخذ بنصائحه^(٩).

(١) المعرفة والتاريخ (٣٦٣/٢).

(٢) دور الخدّين والفقهاء في الدولة الأموية (بحث نشر في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية بجامعة الموصل، المجلد ٣، العدد ٢، ص ١٩٩).

(٣) عبد الرحمن بن عسيلة الصناجي رضي الله عنه، قدم المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصلّى خلف أبي بكر رضي الله عنه، وروى عن جماعة من الصحابة، ثم نزل الشام، كان ثقة قليل الحديث. (الطبقات الكبرى ٥١٥/٧، والإصابة ٩٨/٥).

(٤) تاريخ أبي زرة ٥٨٤/١، وتاريخ دمشق ١٢٠/٣٥، وقد ذكر ابن خلدون أن سرير الملك من خطط الخلافة، وأن معاوية رضي الله عنه أول من اتخذ في الإسلام ثم اتبعه الملوك الإسلاميون فيه. (المقدمة ص ٢٦٠).

(٥) رجاء بن حيوة الكندي، القدوة، الوزير العدل، الفقيه، من جلة التابعين، مات سنة اثني عشرة ومائة. (الطبقات الكبرى ٤٥٤/٧، وسير أعلام النبلاء ٥٥٧/٤-٥٦٣).

(٦) رجاء بن حيوة ومكانته في العصر الأموي (بحث نشر في مجلة سر من رأى، المجلد ٤، العدد ١١، السنة الرابعة - آب ٢٠٠٨ ص ١١٠).

(٧) روح بن زباع الجذامي، الأمير الشريف، ولي فلسطين ليزيد بن معاوية، وسكن دمشق وله دار بها، مات سنة أربع وثمانين. (سير أعلام النبلاء ٢٥١/٤-٢٥٢، والإصابة ٢١٦/٢-٢١٧).

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٥١/٤.

(٩) الكامل في التاريخ ٣٩٧/٣، وروح بن زباع وأثره في السياسة الأموية (بحث في مجلة التربية والعلم بجامعة الموصل، المجلد ١٥، العدد ٢، عام ٢٠٠٨ ص ٩٤).

وقال عبد الملك بحقه: (جمع أبو زرعة - يعني: روح بن زنباع - طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز)^(١)، وهو الذي دلّ عبد الملك على عامر^(٢) الشعبي، فكان الشعبي سميّر الخليفة عبد الملك وجليسه وخليله^(٣).

أما التابعي الجليل: رجاء بن حيوة، فقد كان من أبرز التابعين الذين رافقوا عدداً من خلفاء بني أمية، وكان مستشاراً لهم، منهم: عبد الملك، روي أنه أشار على عبد الملك في أسارى ابن الأشعث^(٤) بقوله: (إن الله قد أعطاك ما تحبُّ من الظفر، فاعط الله تعالى ما يحبّ من الفعو)^(٥)، وأشار عليه في شأن رجل ذكّر عنده بسوء فهم به عبد الملك، فقال رجاء: (يا أمير المؤمنين! قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو، فعفا عنه وأحسن إليه)^(٦).

وقد كان هؤلاء العلماء بجانب الخليفة أثراً فعالاً في صياغة تاريخ الأمة لقرهم منه، وعوّنهم له بتقديم المشورة الناصحة التي أسهمت في توجيه الحكم إلى ما فيه صلاح الأمة.

إن البطانة الصالحة من هؤلاء تعطي الصورة الصادقة للإسلام من خلال التعامل مع الراعي والرعية، وما يسلكونه من آداب جمّة وأساليب ناجعة لإصلاح الأخطاء وتوجيه الانحراف، وما يتحلّون به خلال حلول النوازل والفتن من مواقف راشدة وآراء ناضجة منطلقة من هدي الشريعة، فتكون نبراساً لعامة الناس يهتدون بها.

(١) البيان والتبيين ٨١/٢، والوزراء والكتاب ص ٣٥، والإصابة ٢/٢١٧.

(٢) عامر بن شراحيل الشعبي، الإمام، علامة العصر، ثقة مشهور فقيه فاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه من الشعبي، مات بعد المائة. (انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٩٥، وتقريب التهذيب ص ٥٢٠).

(٣) مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي (بحث في المجلة العربية للعلوم الإنسانية بجامعة الكويت، العدد الثالث، المجلد الأول، عام ١٩٨١ م ص ٤١).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، الأمير، متولي سجستان، خرج على الخليفة عبد الملك ومعه جمع من القراء والعلماء، فهزّم وهزّم أصحابه، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا ديناً، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا. (انظر: المعارف ص ٣٣٤، وسير أعلام النبلاء ٤/١٨٣، ومنهاج السنة ٤/٥٢٨).

(٥) سراج الملوك ١/٣٥٦، والشهب اللامعة ص ١١٢.

(٦) وفيات الأعيان ٢/٣٠٢.

المبحث الثالث: منهج عبد الملك في اختيار لبطانة:

تبدأ مسؤولية الحاكم من حسن اختيار البطانة، فالبطانة الصالحة دليل على صلاح صاحبها، إذ النفوس المتماثلة تتجاذب فيما بينها كما بين النبي ﷺ بقوله: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل)^(١).

ولا تخلو بطانة من التأثر بالجليس والتأثير فيه، وقد كان السلف يحرصون على البطانة الصالحة والصاحب التقي التقي الذي يعين على الخير ويزيل وحشته العُربة، فكان علقمة^(٢) بن قيس النخعي رحمه الله أَبْطَنَ القوم بعبد الله بن مسعود، وورد عنه أنه حين قدم الشام غريباً، دعا: (اللهم ارزقني جليسا صالحاً)^(٣)؛ لأن الجليس الصالح يذكرك إذا غفلت، ويعينك إذا تذكرت.

وإذا كان هذا التأثر والتأثير لعموم الناس فهو للحاكم من باب أولى، ولذلك جعله عبد الملك بن مروان -رحمه الله- معنى من معاني السياسة، ونهجاً يجب على الحاكم سلوكه مع البطانة، فحدد تأثير الحاكم على البطانة بالهيبية وضرورة استمراريتها، مع ضرورة أن تكون صادقة المودة.

فقال في تعريفه للسياسة: (هيبية الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع)^(٤).

وكان يأمر خاصته بأن يجنبوه ثلاثاً: الإطراء، والكذب، والغيبة^(٥)، ولا يسمح لأحد في خلوته أن يُداهنه، أو يسعى إليه بأحد من الرعية بقصد الإفساد^(٦).

(١) رواه أبو داود، رقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني. (انظر: سنن أبي داود، عناية مشهور حسن ص ٨٧٦).

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، فقيه الكوفة وعالمها ومقرنها، لازم ابن مسعود وجود القرآن عليه، مات بعد الستين، وقيل بعد السبعين (سير أعلام النبلاء ٤/٥٤، ٦٥، وتقريب التهذيب ص ٣٩٧).

(٣) تاريخ دمشق ٤١/١٥٦.

(٤) عيون الأخبار ١/٦٤، والعقد الفريد ١/٢٤، ونهاية الأرب ٢/٤٣. والصنائع: الرجال الذين اتخذهم الحاكم لنفسه وكلفهم ببعض المهام.

(٥) انظر: سراج الملوك ١/٢٩٧، وتاريخ دمشق ٣٧/١٤٢، والبداية والنهاية ١٢/٣٨٧، (تحقيق التركي)، ومن خاصته تلك: الهذيل بن زفر، وحاتم بن النعمان الباهلي، وأنساب الأشراف ٧/٢٠٩-٢١٠، (تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي).

(٦) انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٨٧، (تحقيق التركي)، وعيون الأخبار ٢/٢٨.

وأولى الناس بالتقريب هم العلماء الذين شرفهم الله وفضلهم بالعلم، وفهم أحكام

الدين وحمل أمانة نشره وبيانه للناس، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلٰئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١)، ففي هذه
الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من
العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء^(٢). ونظراً لأهمية قربهم من
الحاكم - ليصبحوا من بطانته التي تقدم له الرأي السديد والمشورة الناصحة التي تسهم
في توجيه الحكم والإدارة إلى ما فيه صلاح الأمة ويكون لها تأثير إيجابي في صنع القرار
السياسي وتنفيذه - حضّ الإسلام ولاة الأمور على اتخاذ البطانة منهم، وحينئذ يتحقق
الخير الذي أرادته الله تعالى للحاكم والرعية، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال
رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر
أعانه...) ^(٣) الحديث.

لذلك أحسن عبد الملك في تقريبيهم واستبطان بعضهم، وقد ساعده في ذلك

الصفات والمواهب التي تحلّى بها، ومنها:

١ - شخصيته التي تجمع بين العلم، والفقه في الدين، والفتنة وحسن السياسة
لأمور الدنيا^(٤)، فقد ولد بالمدينة، ونشأ بها نشأة علمية، وتعلّم على كبار الصحابة من
أهل المدينة وسمع منهم الحديث مثل: عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد الخدري، وأم سلمة،
ومعاوية، وعبد الله بن عمر، وبريرة^(٥) مولاة عائشة، وغيرهم^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/٥ - ٦٤.

(٣) رواه أبو داود، رقم (٢٩٣٢) بسند صحيح.

(٤) انظر: البداية والنهاية ٣٨١/١٢.

(٥) بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كان عبد الملك يجالسها بالمدينة وروى عنها، عاشت إلى خلافة يزيد

بن معاوية. (سير أعلام النبلاء ٢/٢٩٨، والإصابة ٨٢٩، وتقريب التهذيب ص ٧٤٤).

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/٤٦٤.

وتواترت الأخبار على فقهه وغزارة علمه^(١)، فقد شهد له عبد الله بن عمر بالفقه فقال: (إن مروان ابناً فقيهاً فسלוه)^(٢)، وفي رواية أخرى أن ابن عمر قال: (ولد الناس أبناء، وولد مروان أباً)^(٣).

واعتبره أبو الزناد^(٤) من فقهاء المدينة المعدودين، فقال: (كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان)^(٥)، وفي رواية أخرى لنافع^(٦) أنه قال: لقد رأيت عبد الملك بن مروان وما بالمدينة شاب أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه)^(٧).

وقال الشعبي: (ما جالست أحداً إلا وجدتُ لي عليه فضل إلا عبد الملك)^(٨)، وقال أيضاً: (بعث إليّ عبد الملك فكنت أحادثه فما رأيت رجلاً أعلم منه)^(٩). وقد احتج الإمام مالك^(١٠) بقضاء عبد الملك في أمر المُكاتب^(١١). وقال الذهبي: (ذكرته لغزارة علمه)^(١٢).

وقد انعكس علمه على منزلة العلماء في عهده، فكان ينظر إليهم نظرة نابغة مما أصّله الإسلام في نفسه من مكانة العالم، وما صنعه له في القلوب من مهابة، ثم تزدان تلك النظرة حين يخدم العالم الأمة في مصالحها ويشاركها فيما يساورها من هموم، ويكون

(١) البداية والنهاية ٣٨٢/١٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ٥٦٣/١، وتاريخ بغداد ٣٨٩/١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٤، والبداية والنهاية ٣٧٩/١٢، وفوات الوفيات ٤٠٢/٢.

(٤) هو عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، مات سنة ثلاثين ومائة (تقريب التهذيب ص ٣٠٢).

(٥) المعرفة والتاريخ ٥٦٣/١، وتاريخ دمشق ٢٤٨/٤٣، ومثله في البداية والنهاية ٢٧٩/١٢.

(٦) هو نافع، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عمر، ثقة ثبت فقيه، مشهور. مات سنة سبع عشرة ومائة، أو بعد ذلك. (تقريب التهذيب ص ٥٥٩).

(٧) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥، ومثله في البداية والنهاية ٣٧٩/١٢، وتاريخ دمشق ٢٤٧/٤٣.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٤، والبداية والنهاية ٣٨٠/١٢.

(٩) تهذيب تاريخ دمشق ١٤٨/٧.

(١٠) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، مات سنة تسع وسبعين ومائة. (تقريب التهذيب ص ٥١٦).

(١١) الموطأ ص ٤٩٣.

(١٢) سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٤.

سنداً للحاكم ولساناً ناطقاً بالحق في حكمه إذا ما أملت بالأمة الخطوب، ويهب للدفاع عنها وعن دينها عند حلول الأخطار.

وقد انطلق عبد الملك في تعامله مع العلماء وفق ما يكنه لهم من تقدير كبير مبني على منزلة العالم المكفولة في الإسلام، فكان يحترمهم ويعلي منزلتهم ويرفع من قدرهم ويقبل شفاعتهم ولا يقطع برأي - في الغالب - إلا بعد استشارتهم. وإذا كان هذا حاله مع العلماء عامة فإن الخاصة منهم قد نالوا أكبر حظ وأوفر نصيب من ذلك، فكان يؤثرهم على غيرهم ويحرص على مجالستهم والاستفادة منهم ويعمد إلى تقريبيهم ومشاورتهم.

وكان قبضة بن ذؤيب - رحمه الله - من أولئك الخاصة الذين قربهم عبد الملك وجعلهم في بطنته، وجمع له عدداً من المهام كالكتابة والخاتم والبريد، وما ذاك إلا لكونه قريباً له في العلم خلال إقامتهما بالمدينة، ونظيراً في المعرفة بالفقه حتى تأصل له عند عبد الملك وجاهة عظيمة، فأصبح قبضة رفيع المقام وعالي القدر، إذا شفع لمحتاج أمضى الخليفة شفاعته، وإذا أشار فيما يخص شؤون الخلافة وقف عبد الملك عند رأيه. وقد كان عبد الملك مع غزارة علمه الشرعي - الذي أسسه القرآن والسنة - عالماً باللغة العربية ولهجاتها، جعلت الأصمعي^(١) يشهد بمعرفته اللغوية فيقول: (أربعة لم يلحنوا في جدٍ أو هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية)^(٢)، وكان يهتم بالفصاحة اهتمامه بالنسب، فقال: اللحن هُجَنَةٌ على الشريف، والعُجب آفة الرأي)^(٣)، وقد ساعده ذلك في صحة نقده للألفاظ والمعاني الأدبية والأغراض الشعرية، وفي حسن اختياره لكُتَّابه للرسائل أو كُتَّاب الخراج وتعريبه، وكانت شخصيته النقدية مزيجاً من الراوية واللغوي الناقد المتذوق والخليفة الحريص على هيبة الخليفة والخلافة^(٤).

(١) هو عبد الملك بن قريش بن عبد الملك حجة الأدب ولسان اللغة، أبو سعيد الباهلي الأصمعي، اللغوي الأخباري، البصري، صدوق سني، مات سنة ست عشرة ومائتين، وقد قارب التسعين (انظر: تقريب التهذيب ص ٣٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/١٧٥).

(٢) انظر: تاريخ دمشق ٢٤/٢٠٣.

(٣) البيان والتبيين ٢/٢١٦، وأنساب الأشراف ٧/٢٥١ (تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي).

(٤) عبد الملك بن مروان ناقداً (بحث في مجلة التربية والعلم، كلية الآداب، جامعة الموصل) المجلد ١٢ العدد ٣ ص ١٩٠، ١٩٤، وانظر: العطاء النقدي للخليفة عبد الملك ص ١٠.

٢- الخبرة السياسية والإدارية والعسكرية التي اكتسبها قبل الخلافة، فقد بدأ في تقلد المناصب الإدارية والعسكرية من عهد معاوية رضي الله عنه، فخلف زيد بن ثابت على ديوان المدينة سنة ثنتين وأربعين^(١)، وولاه معاوية إمارة أهل المدينة في الجيش الذي غزى بلاد الروم وله ست عشرة سنة، فركب بالناس البحر، وقد جالس العلماء والفقهاء وحفظ عنهم^(٢).

وكتب معاوية إلى مروان^(٣) بن الحكم وهو نائبه على المدينة سنة خمسين: أن ابعث ابنك عبد الملك على بعث أهل المدينة إلى بلاد المغرب للجهاد، فأظهر من الكفاية والجهاد في تلك البلاد شيئاً كثيراً^(٤). وقد أثنى عليه معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قبل الخلافة وهو بالمدينة^(٥).

وقيل: إن أبا هريرة رضي الله عنه نظر إلى عبد الملك وهو غلام، فقال: (هذا يملك العرب)^(٦).

وشهدت له بيرة بخصال تؤهله إلى الخلافة، فقالت: (يا عبد الملك إني لأرى فيك خصالاً لخلق أن تلي أمر هذه الأمة...) ^(٧)، ولعل منها ما تقدم ذكره من صفات العلم والفقهِ وحسن السياسة.

إن هذا التمرس السياسي والإداري والعسكري الذي حققه عبد الملك جعله أقدر على اختيار البطانة المناسبة التي تتطابق معتقداتها ومنهجها مع عقيدته ومنهجها وتصوره المستقبلي لقيادة الأمة؛ لأن ضرورة التطابق مع البطانة يمنعها من المخالفة إذا كان هناك عدم رضا منها لسياسة الخليفة. وإذا كانت البطانة متطابقة مع الخليفة في المعتقد والتصور كان الخليفة أقدر على التأثير فيها، وعلى صنع القرار السياسي السليم وتنفيذه، وهذا ما كان عليه عبد الملك

(١) المعارف ص ٣٥٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ٥/٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٤، والبداية والنهاية ١٢٣٧٧، وتهذيب الكمال ٤٠٩/١٨.

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك الأموي، المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين، ومات سنة خمس وستين في رمضان، لا تثبت له صحبة (تقريب التهذيب ص ٥٢٥).

(٤) تاريخ خليفة ص ٢١٠، والبداية والنهاية ١٢/٣٨٠.

(٥) البداية والنهاية ١٢/٣٨٠.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤/٢٤٧.

(٧) تاريخ دمشق ٣٧/١١٢، والإصابة ٨٢٩، وتهذيب الكمال ٣٥/١٣٦.

مع قبيلة بن ذؤيب رحمه الله من تطابق في المعتقد والمنهج أنتج تلك القرارات الصحيحة التي انعكس خيرها لصالح الأمة.

ونرى عبد الملك رحمه الله من أبعده خلفاء بني أمية عن أهل البدع والأهواء من العثمانية^(١)، والقدرية^(٢)، فكان لا يُقرِّبهم ولا يتخذ منهم بطانة. وهؤلاء هم الذين انحرفوا ببعض أواخر الخلفاء بعد عهد عبد الملك؛ كيزيد بن عبد الملك ومروان الجعدي، وكانوا سبباً في زوال الدولة الأموية؛ قال ابن تيمية رحمه الله: (أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فطلب أن يسيروا بسيرته، فجاء إليه عشرون شيخاً من شيوخ الشيعة العثمانية، فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات، حتى أمسك عن مثل طريقة عمر بن عبد العزيز)^(٣).

وروى الذهبي - رحمه الله - عن عبد الرحمن^(٤) بن زيد بن أسلم، قال: (لما توفي عمر بن عبد العزيز قال يزيد: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتى بأربعين شيخاً شهدوا أن الخلفاء ما عليهم حساب ولا عذاب)^(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: (لما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولاً مضمومين عند الأئمة، وأولهم شيخهم الجعد^(٦) بن درهم، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء؛ لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه، ولهذا كان يسمى مروان: الجعدي، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة)^(٧).

(١) العثمانية: هم غالبية الشام، أتباع بني أمية؛ يطيعون الولاة طاعة مطلقة، ويزعمون أن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات، وربما قالوا: إنه لا يحاسب (منهاج السنة ٤٧٧/٢ - ٤٧٩).

(٢) القدرية هم نفاة القدر؛ يزعمون أن الله لا يقدر على مقدرات غيره، وأن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً، فأتيتوا خالقاً مع الله. (الملل والنحل ١/٥٤).

(٣) منهاج السنة ٦/٢٠٠، ٤٣٠.

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، ضعيف، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. (تقريب التهذيب ص ٣٤٠).

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/١٥١.

(٦) الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. (سير أعلام النبلاء ٥/٤٣٣).

(٧) الصواعق المرسله ٣/١٠٧٠-١٠٧١.

٣- الحزم وقوة الإرادة وثبات العزم، ويقصد بالحزم: الثبات في مواجهة المواقف واتخاذ القرارات والبت في الأمور دون تردد، ولهذا قالوا: (كان معاوية أحلم وعبد الملك أحزم)^(١). وبذلك شهد له أبو جعفر المنصور -وقد ذكر ملوك بني أمية- فقال: (كان عبد الملك أشدهم شكيمة وأمضاهم عزيمة)^(٢)، وقد أوصى ابنه الوليد بالحزم في الأمور حتى يملك الرعية فقال: (يا بني! اعلم أن ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعية، إلا حزم أو توان)^(٣).

وكانت الفترة التي تجتازها الأمة في ذلك الوقت كانت تتطلب الحزم والقوة وأن عبد الملك كان الشخصية المناسبة للموقف ولقيادة الأمة في ذلك الدور، وأن القوة كانت الطابع العام لسياسته، وكان هو يشعر بذلك وبنقته في نفسه، إذ كان يقول: (والله ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر مني)^(٤).

(١) العقد الفريد ٤/٤٠١.

(٢) أنساب الأشراف ٧/٢٠٩.

(٣) الشهب اللامعة ص ٢٤٨، وبدائع السلك ١/٤٢٦.

(٤) الكامل لابن الأثير ٤/١٠٤، وعبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ص ٢٩٧، ٢٩٨.

المبحث الرابع: قبيصة بن ذؤيب، نموذجاً للبطانة الصالحة:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام قبيصة:

• اسمه ونسبه:

هو الإمام الكبير الفقيه^(١)، قبيصة بن ذؤيب بن حَلْحَة بن عمرو بن كليب بن أصرم بن عبد الله بن قَمَيْر بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو، الخزاعي، المدني، ثم الدمشقي^(٢).

ينسب إلى قبيلة خزاعة، وهو كعب بن عمرو^(٣)، وكانت خزاعة موضع النصيح للرسول ﷺ والأمانة على سرّه، وأصل مولاتها للرسول ﷺ أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك في الإسلام^(٤).

• أسرته:

أبوه: ذؤيب بن حلحلة، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وسكن قديد^(٥)، وهو صاحب بُدْن الرسول ﷺ، فقد روى مسلم من حديث ابن عباس: أن ذؤيباً أبا قبيصة حدّثه أن رسول الله ﷺ كان يبعثُ معه بالبُدن، ثم يقول: (إن عُطِبَ منها شيءٌ فخشيتُ عليه موتاً فأنحرها، ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها، ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رُفقتك)^(٦).

وأمه: عاتكة بنت المرتحل بن عبد العزى^(٧).

وابنه: إسحاق: كان على ديوان الرّمني بدمشق في عهد الوليد بن عبد الملك، ثم سكن الأردن ووليها هشام بن عبد الملك^(٨)، وبه كان يكنى^(٩).

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٢.

(٢) انظر: جمرة أنساب العرب ص ٢٣٦، والطبقات الكبرى ٥/١٧٦.

(٣) عجملة المبتدئ ص ٥٤، والإكمال ٣/١٩٥، وانظر: المعارف ص ٤٤٧.

(٤) فتح الباري ٥/٣٣٧، ٣٣٨.

(٥) الطبقات الكبرى ٤/٣٢٣، والإصابة ٢/١٨٠، وتهذيب الكمال ٨/٥٢٢، وقديد: بضم القاف وفتح

الدال الأولى، وإد من أودية الحجاز، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة، على نحو ١٢٠ كيلاً من مكة

(انظر: المعالم الأثرية ص ٢٢٢).

(٦) رواه مسلم (صحيح مسلم بشرح النووي ٩/٧٨).

(٧) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ٢/٣٨٣. ولم أجد لها ترجمة.

(٨) انظر: الثقات لابن حبان ٦/٤٦، وتاريخ دمشق ٨/٢٧٠، وتهذيب التهذيب ١/٢٤٧.

(٩) الكنى والأسماء ١/٣٤، والمقتنى في سرد الكنى ١/٦٣.

● مولده ونشأته:

ولد عام الفتح على الأصح^(١) بالمدينة، فهو أسنّ من عبد الملك بثمان عشرة سنة تقريباً، وعاصر الخلفاء الراشدين وعدداً من خلفاء بني أمية. نشأ في المدينة، وسمع عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبلال، وأبا الدرداء، وروى عنهم الحديث^(٢). ولقي زيد بن ثابت وأخذ عنه، وذهب مذهبه، وكان يقول بقوله ويفتي بفتواه^(٣). وكان في أول أمره معلّم كتاب^(٤)، ونبغ في العلم حتى أصبح من فقهاء المدينة المعدودين.

ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة من التابعين، وفي الطبقة الثانية منهم بالشام^(٥)، قال: وكان له بالمدينة دار في التمارين^(٦)، في رقاق النقاشين^(٧)، ثم تحوّل إلى الشام فسكن دمشق وله بها دار بباب البريد^(٨) في موضع دار الحُكْم^(٩). ولم تحدد المصادر متى تم انتقاله إلى الشام، إلا أنّه يمكن استنتاج فترة انتقاله إلى الشام وتحديددها بعد موقعة الحرة سنة ٦٣ للهجرة، إذ أن أغلب المصادر التي ترجمت لقبیصة وصفته بأنه أعور، وأن عينه ذهبت^(١٠) يوم الحرة^(١).

- (١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٢٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٨٢، والإصابة ٥/٢٧١.
 (٢) التاريخ الصغير ١/٢٠٣، ٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٨٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢١/٦٣.
 (٣) علل ابن المديني ص ٤٤-٤٦، (تحقيق محمد الأعظمي).
 (٤) المحرر ص ٤٧٧. والكُتّاب: الصّبيّان، ويطلق على موضع تعليمهم، والجمع كتابيب. (انظر: لسان العرب ١/٦٩٩).
 (٥) الطبقات الكبرى ٥/١٧٦، و٧/٤٤٧.
 (٦) التمارين: سوق المدينة، كان في شمال مصلى العيد مما يلي الغرب (انظر: وفاء الوفاء ٣/١٤).
 (٧) الطبقات الكبرى ٥/١٧٦.
 (٨) باب البريد: اسم لأحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب، وهو من أنزه المواضع قديماً (معجم البلدان ١/٣٠٦).
 (٩) تاريخ دمشق ٤٩/٢٥٠.

(١٠) قلت: لا دلالة في ذهاب عينه رحمه الله يوم الحرة على مشاركته القولية أو الفعلية في تلك الفتنة التي وقعت نتيجة للخروج على ولي الأمر الشرعي يزيد بن معاوية رحمه الله، فلم يثبت ذلك بسند صحيح، ولأنه من فقهاء الأمة المعدودين آنذاك كعبد الله ابن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين الذين كانوا ينهون عن الخروج على يزيد، والقتال في الفتنة عملاً بالنصوص المحرّمة لذلك، وحرصاً منهم على سلامة الأمة، وحافظةً على جماعتها. ثم إنه عاصر الفتن السابقة ورأى كيف عاجلها كبار الصحابة، فرأى الأحداث التي جرت على عثمان رضي الله عنه، وكيف صبر عليها، وفدى الأمة بنفسه صابراً محتسباً، مؤثراً لسلامة الأمة على نفسه، وشاهد ما أشغل الأمة من فتن في عهد علي رضي الله عنه، وأن كثيراً من الصحابة

وفي ذلك إشارة إلى أنه كان في المدينة إلى وقعة الحرّة، ولعل انتقاله منها إلى الشام كان بعد وفاة مروان وتولي ابنه عبد الملك أمر استعادة حكم بني أمية بعد أبيه، وذلك حين اتخذ عبد الملك مستشاراً له ووزيراً^(٢).

• ثناء العلماء عليه وعلو قدره:

شهد له العلماء بسعة العلم والفقهِ، فقال مكحول^(٣): ما رأيت أحداً أعلم من قبيصة^(٤).

وقال الشعبي: كان قبيصة أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت رضي الله عنه^(٥).

وقال الزهري: كان قبيصة بن ذؤيب من علماء هذه الأمة^(٦).

وقال أبو الزناد: كان فقهاء أهل المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وقبيصة بن

ذؤيب، وعروة بن الزبير، وعبد الملك بن مروان^(٧).

وفي رواية أخرى له: كان عبد الملك بن مروان رابع أربعة في الفقه والنسك، فذكر

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان^(٨).

اعتزها قولاً وفعلاً، ولا نرى لقبية دور فيها مع أنه كان في المدينة؛ مما يدل على انصرافه إلى العبادة والعلم والتعليم.

(١) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير ١٤٦/٢ عن أبيه زهير بن حرب (ت ٢٣٤هـ) وعند ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥٩/٤٩ وعن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس أيضاً، ونقله ابن حجر في التهذيب ٣٤٦/٨، والمزي في تهذيب الكمال ٤٨٠/٢٣. وفي المعارف ص ٥٨٦ والمحبر ص ٣٧٩ وسير أعلام النبلاء ٢٨٣/٤ دون إسناد. وذكر ابن عبد البر في (التمهيد ٩٣/١١) قتاله يوم الحرّة، دون أن يسند ذلك. ويوم الحرّة: يوم مشهور بوقعته أيام يزيد بن معاوية سنة ثلاثة وستين، وهذه الحرّة هي حرة واقم إحدى حرتي المدينة النبوية، وتعرف اليوم بالحرّة الشرقية (انظر: تاريخ خليفة ص ٢٣٦، والمعالم الأثرية ص ٢٩٥).

(٢) أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص ١٢٠.

(٣) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور، مات سنة بضع عشرة ومائة. (تقريب التهذيب ص ٥٤٥).

(٤) تاريخ دمشق ٢٥٩/٤٩، وتهذيب التهذيب ٣٤٦/٨، وتهذيب الكمال ٤٧٩/٢٣.

(٥) التاريخ الكبير ١٧٥/٧، وتاريخ دمشق ٢٥٩/٤٩، وطبقات الفقهاء ص ٦٢.

(٦) المعرفة والتاريخ ٣٥٣/١، وتاريخ دمشق ٢٥٧/٤٩، وطبقات الفقهاء ص ٦٢.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣٥٤/١، وتاريخ دمشق ٢٦٠/٤٩، وطبقات الفقهاء ص ٦٢.

(٨) التاريخ الكبير ١٧٥/٧، وتاريخ دمشق ٢٥٤/٤٩.

وقال ابن حبان: كان من فقهاء أهل المدينة وصالحهم، معلم كتاب، انتقل إلى الشام^(١).

وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً كثير الحديث^(٢).

واعتبره الذهبي من أكابر التابعين، وذكره في الطبقة الأولى منهم، ووسمه بالإمام الكبير الفقيه^(٣).

ومما يدل على مكانته العلمية وعلو قدره رواية كبار العلماء عنه، منهم: ابنه إسحاق، ومكحول، ورجاء بن حيوة، وأبو قلابة^(٤)... وآخرون^(٥)، وإجماع خلائق من التابعين وغيرهم على توثيقه وجلالته^(٦).

وأن آراءه الفقهية ومروياته منشورة في كتب الفقه والحديث، والتفسير^(٧).

ومن اختياراته الفقهية التي وافقه عليها بعض علماء عصره كالشعبي والزهري وأبي الزناد والأوزاعي ومالك والشافعي^(٨)، وغيرهم:

جواز الدخول على السلطان ومخالطته إذا اقتزن بدخوله مصلحة من وعظه ونصحته ومساعدته على الخير، وأمن الوقوع في محذور معه، أو خشي الفتنة في دينه، ولما في مخالطته من مصلحة قطع الطريق على بطانة السوء حتى لا تتفرد به وتؤثر عليه،

(١) الثقات ٣١٨/٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١٧٦/٥، و٤٤٧/٧، وانظر: طبقات خليفة ص ٣٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٨٢/٤، وطبقات المحدثين ٣٥/١.

(٤) هو عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قلابة، البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال، مات بالشام هارباً من القضاء، سنة أربع ومائة، وقيل بعدها. (تقريب التهذيب ص ٣٠٤).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٨٢/٤، وتهذيب التهذيب ٣٤٦/٨.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات ٥٦/٢.

(٧) انظر: المجموع شرح المهذب ١٨٦/٢، والمغني ١٤٧/١، و٣٠٩/٢، والمصنف لابن أبي شيبة ١١٥/١، و٤١٢/٣، وبداية المجتهد ٩٢/١، ٩٤، والمخلى ٩/٥، والمستدرک ٥٧١/١، والجامع لأحكام القرآن ١٠٩/٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥٨/٤، ١٦٠، (تحقيق التركي).

(٨) محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله المحكي، نزيل مصر، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة. (تقريب التهذيب ص ٤٦٧).

وحملوا التحذير في قول الرسول ﷺ: (... وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ) ^(١)، على من أتاه لطلب الدنيا، لاسيما إن كان ظالماً جائراً ^(٢).

وخالفه في ذلك جمع من السلف ممن يرون الانقباض من إتيان السلطان والاحتراز عن مخالطته، منهم سعيد ^(٣) بن المسيب الذي كان يحمل على قبيصة لمخالطة السلطان ^(٤)؛ لأنه كان على الضدّ منه في ذلك، فقد كان منافراً لهم.

● وفاته:

اختلف العلماء في تحديد سنة وفاته بالرغم من أن أغلبهم ^(٥) أجمع على أن وفاته كانت سنة ست وثمانين. أما يحيى بن معين فقد أورد: أنه توفي سنة سبع وثمانين ^(٦). وروي عن علي بن عبد الله التميمي وأبو عمر الضريير: سنة ثمان وثمانين ^(٧). وروي عن أبي الحسن المدائني: أنه توفي سنة تسع وثمانين ^(٨). وقيل: سنة ست وتسعين ^(٩).

ونستطيع أن نستنتج أن وفاته كانت في دمشق سنة ست وثمانين للهجرة، وذلك أنه في سنة خمس وثمانين حاول الخليفة عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز ^(١٠)

(١) جزء من حديث ابن عباس، رواه الترمذي، رقم (٢٢٥٦) وصححه الألباني. ولفظ أحمد في المسند، رقم (٣٣٦٢) وأبي داود، رقم (٢٨٥٩) (من أتى السلطان افتتن)، وهذا لِمَنْ دخل مُدَاهَنَةً، ومن دخل أمراً ناهياً وناصحاً، فكان دخوله أفضل (انظر: حاشية مسند الإمام أحمد للسندى ١٨٢/٣ رقم (١٨٠٤)).

(٢) انظر: الآداب الشرعية ٤٥٨/٣، ٤٥٩، ٤٦٠.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن، القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مراسلاته أصحّ المراسيل، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين. (تقريب التهذيب ص ٢٤١).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٩٣/١١.

(٥) منهم: الهيثم بن عدي، وعلي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويحيى بن بكير، والفلاس، والواقدي، وخليفة... (انظر: تاريخ خليفة ص ٢٩٢، وطبقاته ص ٣٠٩، وتاريخ دمشق ٢٦٢/٤٩، ٢٦٣، وطبقات الفقهاء ص ٦٢، وتهذيب الكمال ٤٨٠/٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٨٣/٤).

(٦) طبقات الفقهاء ص ٦٢، وتاريخ دمشق ٢٦٣/٤٩، وتهذيب الكمال ٤٨٠/٢٣، وتهذيب التهذيب ٣٤٧/٨.

(٧) انظر: تاريخ دمشق ٢٥٢/٤٩، وتهذيب الكمال ٤٨١/٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٨٣/٤.

(٨) تاريخ دمشق ٢٦٤/٤٩، وتهذيب الكمال ٤٨١/٢٣.

(٩) تهذيب الكمال ٤٨١/٢٣، وتهذيب التهذيب ٣٤٧/٨.

(١٠) عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو الأصبح، والد عمر بن عبد العزيز، أمره أبوه علي مصر فأقام بما أكثر من عشرين سنة، وكان صدوقاً، مات بعد الثمانين (تقريب التهذيب ص ٣٥٩).

عن ولاية العهد وتولية ابنه الوليد، وقد كان لقبیصة ابن ذؤیب دور كبير في عدم خلعه، وقد توفي عبد العزيز بن مروان في شهر جمادى الأولى سنة خمس وثمانین^(١)، ودخل قبیصة على عبد الملك یخبره بذلك.

وبعد مضي سنة وأربعة أشهر أي في شهر شوال سنة ست وثمانین توفي الخلیفة عبد الملك رحمه الله^(٢).

ولو سلّمنا أن قبیصة بقي بعد عهد عبد الملك لورد له ذكر في المصادر التاريخية، وهذا مما لم أشر عليه في المصادر التي وقفت عليها.

المطلب الثاني: منزلته عند الخلیفة عبد الملك:

عُرف رحمه الله بصدقه وعفته وأمانته، فحظي بتقريب الخلیفة عبد الملك له وتوليته على ديوان البريد، فكان إذا ولى رجلاً البريد، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال: إن كذبه يشكك في صدقه، وشره یحمله على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما یندمه ويؤثمه^(٣).

وكان لهذا الديوان مهمتان رئيسيتان، الأولى: نقل الرسائل من دار الخلافة وإليها. والثانية: أن موظفي هذا الديوان كانوا عیون الخلیفة یراقبون له الولاية والعمال وأعمالهم، ویرفعون إلى الخلیفة تقارير بكل ما یصل إلى علمهم من ذلك عبر القائم على هذا الديوان وهو قبیصة رحمه الله، حتى یكون الخلیفة على علم بأحوال الولايات وبكل ما یدور فیها^(٤).

ولأهمية هذا الدور الذي كان یقوم به قبیصة رحمه الله كان عبد الملك یوصي حُجابه^(٥) بأن لا یُحجّب عنه قبیصة في أي ساعة جاء، وقال لهم: (لا یُحجّب قبیصة أي ساعة جاء من لیل أو نهار، إذ كنتُ خالياً أو كان عندي رجل واحد، وإن كنتُ عند النساء أُدخِل المجلسَ ثم أعلمتُ بمكانه)^(٦).

(١) الطبقات الكبرى ٢٣٦/٥، وتاریخ الطبری ٤١٢/٦، ٤١٣.

(٢) انظر: تاریخ خلیفة ص ٢٩٢، والطبقات الكبرى ٢٣٥/٥.

(٣) بمجة المجالس ٢٧٨/١، والشهب اللامعة ص ٣٤٤.

(٤) انظر: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٥٦٢، ٥٦٣.

(٥) منهم: أبو یوسف مولاہ. (تاریخ خلیفة ص ٢٩٩، وتاریخ دمشق ١٦/٦٨).

(٦) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥.

وقال لحاجبه ابن الزعيرة^(١): (وليتك ما خلف بابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داع إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل فإنه لو وجد خيراً لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يُجيب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة...) (٢). وكانت تأتيه الأخبار قبل عبد الملك فيقرأ الكتب قبله، ثم يأتي بها منشورة إلى عبد الملك فيقرأها إعظاماً لقبیصة^(٣).

وكان معاوية رضي الله عنه أول من أنشأ في الخلافة الإسلامية نظاماً للبريد، وحسنه عبد الملك -رحمه الله- وأحكم تنظيمه^(٤)، فاستخدمه عمال الدولة للرحلات السريعة، ونقل القوات العسكرية على وجه السرعة، بإشراف ومتابعة قبيصة رحمه الله باعتباره الشخصية التي ولّاهها عبد الملك أمر البريد، وكان يعبر عنه بصاحب البريد^(٥).

ومما زاد من مكانته عند عبد الملك أن جمع له مع الكتابة والبريد عدداً من المهام، ذكر منها ابن سعد: الخاتم، والسيكّة^(٦)، ضمن كلام له أجمل فيه ما يتمتع به قبيصة من منزلة رفيعة عند عبد الملك، فقال: وكان قبيصة تحوّل إلى الشام، فكان آثر الناس عند عبد الملك، وكان على خاتم عبد الملك وكان البريد إليه، فكان يقرأ الكتب إذا وردت، ثم يُدخلها على عبد الملك فيخبره بما فيها^(٧).

أدنى عبد الملك قبيصة منه، وأكرمه وأجله، وأمر له بمنزل بباب البريد في موضع دار الحكم^(٨) في قلب عاصمة الخلافة حتى يكون قريباً منه، وهذا مما لا بد أن يتيح له فرصة للتأثير في الساسية أكثر مما لو سكن في الأطراف.

(١) لم أف على ترجمته.

(٢) الأوائل ص ٢٣٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥.

(٤) الأوائل ص ٢٣٧، ونظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ص ٢٧١.

(٥) انظر: صبح الأعشى ٣٧١/١٤، والإدارة في العصر الأموي ص ٢٨٤.

(٦) السيكّة: وظيفة دينية، يقوم صاحبها على النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو التقص. (إكليل الكرامة ص ٤٧).

(٧) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥، وانظر ملك المهام في مختصر تاريخ دمشق ٦٢/٢١، وطبقات علماء الحديث ١٢٠/١.

(٨) انظر: تاريخ دمشق ٢٥٠/٤٩.

وذكر البلاذري: أن عبد الملك تزوج أم الحكم^(١) بنت ذؤيب أخت قبيصة، وأنه سمي أحد أبنائه قبيصة باسم قبيصة بن ذؤيب^(٢). وبهذه المصاهرة أصبح لقبية مكانة خاصة عند عبد الملك.

وكان لتلك المهام القيادية التي تولّاها -الكتابة، والبريد، والخاتم والسكة- الدافع القوي في الشد من أزر الخليفة والقيام بمهام الوزير^(٣)، فأعان عبد الملك على استقامة أمره، وكان له مستشاراً ومساعداً في إدارة دولته وتصريف شؤونها.

المطلب الثالث: التأثير السياسي لقبية في عهد عبد الملك:

تمكن قبيصة من خلال تلك المنزلة الرفيعة من المشاركة في إدارة شؤون الدولة، وأسهم بآرائه السديدة في صنع القرار السياسي لعدد من القضايا، منها:

١- تأثيره في قبول عبد الملك ببيعة محمد^(٤) بن الحنفية:

كان محمد بن الحنفية قد اعتزل كلاً من عبد الملك وعبد الله بن الزبير بسبب الفتنة التي وقعت بينهما، وامتنع أن يبايع لأحد منهما حتى يجتمع عليه المسلمون، فلما اجتمع الناس على عبد الملك سنة ثلاث وسبعين، كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك كتاباً جاء فيه:

(فلما أفضى هذا الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجلٍ منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتُك، وبايعتُ الحجاج^(٥) لك، وبعثتُ إليك ببيعتي، ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك، ونحب أن تأمننا وتعطينا ميثاقاً على الوفاء، فإن الغدر لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة)، فلما جاء الكتاب عبد الملك، وقرأه، قال قبيصة لعبد الملك: (ما لك عليه سبيل، ولو أراد فتقاً لقدر عليه، ولقد سلّم وبايع، فترى أن تكتب له بالعهد والميثاق والأمان له ولأصحابه. ففعل)، وكتب إليه عبد الملك بالعهد والميثاق، وكتب إلى الحجاج يأمره بحسن جواره وإكرامه^(٦).

(١) وفي الطبقات الكبرى ٥/٢٢٤ أم الحكم بنت ذؤيب أم زوجة عبد الملك: أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان.

(٢) أنساب الأشراف ٧/١٩٦، ١٩٩ (تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي).

(٣) وصفه الذهبي بالوزير للخليفة عبد الملك، سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٢.

(٤) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، المدني، ثقة عالم، مات بعد الثمانين (تقريب التهذيب ص ٤٩٧).

(٥) يعني: بايع الحجاج أميراً لعبد الملك على الحجاز.

(٦) الطبقات الكبرى ٥/١١١ عن الواقدي، ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٣٥١.

٢- إصلاح بطانة عبد الملك بتقريب العلماء له:

رحل الإمام الفقيه الحافظ محمد بن مسلم الزهري من المدينة إلى دمشق سنة اثنتين وثمانين للهجرة، زمان خروج ابن الأشعث وعبد الملك يومئذ مشغول بشأنه^(١)، واتصل بقبیصة وجالسه مدة قبل اتصاله بعبد الملك^(٢)، فتعرف عليه قبیصة ثم انطلق به إلى عبد الملك وأدخله عليه، ففرض له الخليفة ووصله وصار من أصحابه^(٣). وقد كانت صلته هذه على يد قبیصة بداية اتصال الزهري بخلفاء بني أمية. وكان هذا من قبیصة ليس حرصاً على مصلحة الزهري فحسب، بل كان همه إصلاح بطانة عبد الملك، وتكثير أهل العلم والصالح في بلاطه، مما سيكون له أثر في توجيه سياسة الدولة نحو الإصلاح بالتأثير على عبد الملك من قبل جلسائه وبناته^(٤).

٣- التأثير في موقف عبد الملك عزل أخيه عن ولاية العهد:

كان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ابنه عبد الملك ثم من بعده إلى ابنه عبد العزيز وولاه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين، وبعد وفاة مروان تمت البيعة لابنه عبد الملك وبولاية العهد لأخيه عبد العزيز من قبل المؤيدين لبني أمية ثم كانت البيعة له بالخلافة من عموم المسلمين بعد مقتل عبد الله^(٥) بن الزبير سنة ثلاث وسبعين.

وفي سنة خمس وثمانين عزم عبد الملك على عزل أخيه عن ولاية العهد وإمارة مصر بالكوفة، ويجعل ولاية العهد من بعده في أولاده وعقبه^(٦)، إلا أن قبیصة بن ذؤيب نهاه عن ذلك، وقال: (لا تفعل هذا، فإنك تبعث به عليك صوتاً نغاراً^(٧))، ولعل الموت يأتيه فتستريح منه^(٨)، فكفّ عبد الملك عن ذلك. وبعد مدة جاء البريد بوفاة عبد

(١) انظر: المعرفة والتاريخ ١/٦٢٩، والتاريخ الأوسط ٢/١٠٠٤، وتاريخ دمشق ٥٥/٣٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٩.

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٧/٤٤٧، والمعارف ص ٤٤٧.

(٤) أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص ١٤١، ١٤٣.

(٥) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين،

قُتِل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (تقريب التهذيب ص ٣٠٣).

(٦) انظر: تاريخ الطبري ٦/٤١٢، ٤١٣، والبداية والنهاية ١٢/٣٦٢، ٣٦٣.

(٧) نغاراً: سعاء في الفتن، يقال: ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان، أي: نخص فيها. (الصحاح ٢/٨٣٢).

(٨) الطبقات الكبرى ٥/٢٣٣، وتاريخ دمشق ٣٦/٣٥٢.

العزیز فقرأه قبيصة^(١)، ثم دخل على عبد الملك، فقال: (آجرك الله يا أمير المؤمنين في أخيك. قال: وهل توفي؟ قال: نعم. فاسترجع عبد الملك، ثم أقبل على روح بن زبناح، وقال: أبا زُرعة! كفانا الله ما كنا نريد، وما أجمعنا عليه...) ^(٢).

ولا شك أنّ ما عزم عليه عبد الملك من محاولة عزل أخيه إجراء سياسي خطير كان يمكن أن يُعرض الدولة الأموية لخطر التصدع والفتنة، لاسيما وأن ليس له ما يبرره إذا لا يؤخذ على عبد العزيز بن مروان في شيء من أموره ما يدعو لذلك، لكن الله كفى ووقى الأمة من مغبة ذلك، بنهي قبيصة لعبد الملك أولاً، وبوفاة عبد العزيز بن مروان ثانياً^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥، وتاريخ دمشق ٣٦/٣٥٢، بتصرف.

(٢) الطبقات الكبرى ٢٣٤/٥.

(٣) أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص ١٣٦.

الخاتمة:

بتوفيق الله تعالى وعونه تم هذا البحث، وفي نهايته يحسن أن أذكر أبرز نتائجه، فمن ذلك:

١- أن اتخاذ البطانة من طبيعة الخلافة والملك، وأن منها من يأمر الخليفة بالخير ويعين عليه، ومنها ما يشير بشرّ ويدعو إليه، لذا حض الإسلام ولادة الأمور على اتخاذ البطانة من أهل التقوى والصلاح والأمانة والحشية من الله تعالى؛ لأن من اجتمعت فيه هذه الخصال كان مظنة للخير في مشورته إن استشير، وفي اقتراحه إن طلب منه ذلك، فهو لا يحث إلا على الخير، ولا يُدكّر إلا بالخير، ولا يعين إلا على فعل الخير، وإذا استرعي نقل للراعي الصورة الصادقة عن رعيته.

٢- أن توافر البطانة الصالحة للحاكم دليل على أن الله تعالى أراد الخير بالراعي والرعيّة في الدنيا والآخرة، وهذا فضل من الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١)، وأن إبعاد الحاكم لها، وعدم سماعه وإنصاته منها دليل على حرمانه من التوفيق للخير.

٣- حقق الخليفة عبد الملك الإشراف التام على إدارة الدولة وضبط أعمالها، واعتنى بمؤسساتها الإدارية المختلفة. ودقق في اختيار القائمين على الدواوين، فكان لا يولي عليها إلا أوثق الناس عنده، ويلاحظ أن بعضهم قد تولى دواوين الخاتم والبريد والرسائل، لمكانته العالية لدى الخليفة، مثل قبيصة بن ذؤيب، حتى صار بأعماله لا يقل أهمية عن الوزير في العصر العباسي.

أثر قبيصة في صنع القرار السياسي في عهد عبد الملك تأثيراً إيجابياً لصالح الأمة، أما القرارات التي صدر عنها أفعال مخالفة فهي قرارات فردية اتخذها عبد الملك بنفسه، أو بتأثير البطانة السيئة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١- الأحكام السلطانية والولاية الدينية: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢- الآداب الشرعية: عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ٥- إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة: صديق حسن خان، عناية: مجموعة من الأساتذة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٦- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف: أبو نصر علي ابن هبة الله ابن ماكولا، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، نشر محمد أمين دمج، بيروت، الطبعة الثانية، (د.ت).
- ٧- أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن واضح، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٨- الأوائل: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد السيد الوكيل، دار البشير، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، دار المعرفة، الطبعة السادسة، ١٤٠٢هـ.
- ١٠- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١١- بدائع السلك في طبائع الملك: أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

- ١٢- بذل المجهود في حلّ أبي داود: خليل أحمد السهارنفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ١٣- مهجة المجالس وأنس المجالس: أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: محمد موسى الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
- ١٤- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٨٨هـ.
- ١٥- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد المرتضى الزبيدي، تحقيق: علي هلال وعبد الستار أحمد فراج وآخرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٦- تاريخ أبي زرعة: أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، تحقيق: شكر الله بن نعمة الله، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٠هـ.
- ١٧- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، مكتبة التراث، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- ١٨- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة: أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، مطبعة الفاروق مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٩- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ٢٠- تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٢١- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن القاسم بن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر غرامة العمري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٢- التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد المعروف بابن الهائم، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٢٣- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة: شمس الدين السخاوي، عني بطبعه ونشره: أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ.

- ٢٤- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والعملات الشرعية: علي بن محمد الخزاعي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: نخبة من العلماء، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٦- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، صححها: نخبة من العلماء، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د.ت).
- ٢٨- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: عبد الرحمن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار البار، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٩- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مصطفى الباي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٦٥هـ.
- ٣٠- تفسير آيات الأحكام: عبد القادر شيبه الحمد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.
- ٣١- تفسير غريب القرآن: عز الدين محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣٢- تقريب التهذيب: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قدم له دراسة وافية: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٣٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف المغربية، ١٣٨٦هـ.
- ٣٤- التنبيه والإشراف: أبو الحسن علي بن الحسين، مكتبة خياط، لبنان، ١٩٦٥م.
- ٣٥- تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف النووي، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت).
- ٣٦- تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.

- ٣٧- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: أبو عبد الله محمد بن علي القلعي، تحقيق: إبراهيم يوسف عجو، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٨- تهذيب الكمال: الحافظ جمال الدين يوسف المزني، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
- ٣٩- تهذيب تاريخ دمشق: الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، هذبه ورتبه: عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- الثقات: الحافظ محمد بن حبان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.
- ٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، (د.ت).
- ٤٢- جامع التحصيل في أحكام المراسيل: أبو سعيد بن خليل بن كيكلي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ٤٣- الجامع الصحيح: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- ٤٤- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨.
- ٤٥- جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن محمد ابن حزم، راجعه وضبط أعلامه: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ٤٦- الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين: إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي، تحقيق: عبد الفتاح عاشور وأحمد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د.ت).
- ٤٧- حاشية مسند الإمام أحمد: أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- ٤٨- ذخيرة العقبي في شرح المجتبى: محمد بن علي الأثيوبي، دار المعراج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٤٩- سراج الملوك: أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، تقديم: شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

- ٥٠- السنن: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق: عزت عبيد دعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ.
- ٥١- السنن: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- ٥٢- السنن: أحمد بن شعيب بن علي النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٥٣- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٥٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- ٥٥- شرح مقامات الحريري: أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤١٣هـ.
- ٥٦- الشهب اللامعة في السياسة النافعة: أبو القاسم بن رضوان المالقي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٥٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
- ٥٨- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٥٩- الصمت وآداب اللسان: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٦٠- الصواعق المرسله: أبو عبد الله بن أبي بكر الشهر بابين قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٦١- طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٦٢- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

- ٦٣- طبقات علماء الحديث: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الصالحى، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٦٤- الطبقات: خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ٦٥- عجلة المبدئى وفضالة المنتهى في النسب: أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمداني، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة للشؤون الطباعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- ٦٦- العقد الفريد: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، عني به: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ.
- ٦٧- العلل: علي بن عبد الله بن جعفر المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (د.ت).
- ٦٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.
- ٦٩- عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، شرح وتعليق: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٧٠- غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٧١- غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٧٢- الفائق في غريب الحديث: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٧٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- ٧٤- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٧٥- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، عني به نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٧٦- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب ابن موسى الكفوي، قابله وأعدده للطبع: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٧٧- الكنى والأسماء: أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٧٨- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: شمس الدين محمد ابن يوسف بن علي الكرمانى، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- ٧٩- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة محققة بفهارس تفصيلية، دار المعارف، مصر، ١٤٠١هـ.
- ٨٠- مآثر الأنافة في معالم الخلافة: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ.
- ٨١- المجموع شرح المهذب للشيرازي: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار الكتب العلمية، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ٨٢- مجموع فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحارثي، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، الرياض، ١٣٨١هـ.
- ٨٣- الخبر: لابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب، اعتنى بتصحيحه: إيلزه ليختن، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٦١هـ.
- ٨٤- احرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد العال السيد إبراهيم وآخرين، دار العلوم، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ٨٥- الخلى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، تحقيق: محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ.

- ٨٦- مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق: نسيب نشاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٨٧- المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٨٨- المسند: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٨٩- المسند: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: نخبة من العلماء بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٩٠- المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ٩١- المعارف: عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق: ثروة عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١هـ.
- ٩٢- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٩٣- معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ٩٤- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين محمد ابن أحمد الذهبي، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٩٥- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ.
- ٩٦- المغني: موفق الدين بعد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٩٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه نخبة من العلماء، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٩٨- المقتنى في سرد الكنى: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد صالح مراد، الجامعة الإسلامية، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- ٩٩- المقدمة: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد المغربي، المكتبة التجارية، القاهرة، (د.ت).
- ١٠٠- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ١٠١- منال الطالب في شرح طوال الغرائب: أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.
- ١٠٢- منهاج السنة: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٣- الموطأ: الإمام مالك بن أنس، برواية يحيى الليثي، تحقيق: سليم الهلالي، مجموعة الفرقان، دبي، ١٤٢٤هـ.
- ١٠٤- نسب قریش: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري، عني بنشره والتعليق عليه: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- ١٠٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ١٠٦- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
- ١٠٧- النهاية في غريب الحديث: أبو السعادات محمد بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- ١٠٨- الوزراء والكتاب: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق: نخبة من العلماء، مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ١٠٩- وفاء الوفاء: علي بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
- ١١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

ثانياً: المراجع الحديثة:

- ١- أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد: جمال الدين الشيبان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- ٢- أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية: عبد الله بن عبد الرحمن الحزعان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- ٤- الإدارة في العصر الأموي: نجدة خمّاش، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ٥- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٨هـ.
- ٧- الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مطابع شركة المدينة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٨- دور المحدثين والفقهاء في الدولة الأموية: فاضل غزالي عبد، بحث نشر في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ٣، العدد ٢، تاريخ قبول النشر ٢٠٠٥/١٢/٢٠م.
- ٩- رجاء بن حيوة ومكانته في العصر الأموي: عزة شهاب أحمد، بحث نشر في مجلة سُر من رأى، المجلد ٤، العدد ١١، السنة الرابعة، شهر آب ٢٠٠٨م.
- ١٠- روح بن زنباع وأثره في السياسة الأموية: أزهار هادي فاضل، بحث نشر في مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد ١٥، العدد ٢، تاريخ قبول النشر ٢٠٠٨/١/١٣م.
- ١١- صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٢- صفحة من تراثنا: البطانة الصالحة: حسن محمد عبه جي، بحث نشر في مجلة الأمن والحياة، العدد ٢٤٣، شعبان، ١٤٢٣هـ.

- ١٣- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية: أحمد السيد دراج، الأمانة العامة
لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.
- ١٤- عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، حياته وعصره: محمد ضياء الدين
الريس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٣٨١هـ.
- ١٥- عبد الملك بن مروان ناقدًا: علي كمال الدين الفهادي، بحث نشر في مجلة التربية
والعلم، جامعة الموصل، المجلد ١٢، العدد ٦، السنة ٢٠٠٥م.
- ١٦- عصر الخلافة الراشدة: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،
الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١٧- العطاء النقدي للخليفة عبد الملك: عبد الله بن صالح العريني، دار كنوز إشبيليا،
الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٨- العلم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية: عبد الشافي محمد عبد
اللطيف، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ١٩- مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ،
دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
- ٢٠- المعلم الأثرية في السنة والسير: محمد محمد شراب، دار القلم دمشق والدار
الشامية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢١- مؤدبوا الخلفاء في العصر الأموي: محمد صالحية، بحث نشر في المجلة العربية للعلوم
الإنسانية، العدد ٣، المجلد ١، الكويت، ١٩٨١م.
- ٢٢- الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة
الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٢٣- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت،
١٣٨٥هـ.
- ٢٤- نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية دراسة: عمر الشريف، معهد الدراسات
الإسلامية، ١٤١١هـ.

